

النقاء والدينس في فكر بلاد الرافدين: الأصول والممارسات

Purity and Impurity in Mesopotamian Thought: Origins and Practices

وعزيب سهيلة¹

¹ جامعة الجزائر 2 _ أبو القاسم سعد الله _ (الجزائر)

souhila.ouazib@univ-alger2.dz

تاريخ الاستلام: 2026/04/06 تاريخ القبول: 2026/05/31 تاريخ النشر: 2026/06/09

Abstract:

This study deals with the topics of purity and impurity in Mesopotamia as fundamental conditions that govern the relationship between human and Gods and maintain cosmic order, The study asserts that Purity was not merely a choice, but a ritually necessary condition for communion with the realm of eternity. Conversely, impurity was viewed as a destructive force resulting from blindness or demonic possession. This transformed purification into a mechanism aimed at reintegrating the individual and society into the sacred cosmic order, thereby preserving social and political stability.

Keywords: Purity, Impurity, ThSacred ,Mašmaššu, Mīs Pî ritual

الملخص:

يستعرض البحث مفهوم النقاء والدنس في حضارة بلاد ما بين النهرين كركائز أساسية تحكم العلاقة بين الإنسان والآلهة، فالنقاء لم يكن مجرد سلوك اختياري بل شرطاً وأهلية طقسية لا بد منها للتواصل مع عالم الخلود، في المقابل يُنظر للدنس كقوة تخريبية ناتجة عن العماء أو المس الشيطاني، وتبرز الدراسة دور المعبد كحيز مقدس يفرض بروتوكولات تطهيرية صارمة لحماية النواميس الكونية من الانهيار والعودة إلى الفوضى عبر نصوص التعزيم والماء والنار.

وتؤكد النتائج تحوّل التطهير إلى آلية دفاعية تهدف إلى إعادة دمج الملك والمجتمع داخل النظام الكوني المقدس، ومن هذا المنطلق كان الملك يحرص على رعاية طقوس التطهير بدقة متناهية باعتبارها المسار الأوحيد لضمان الاستقرار الإلهي داخل الحيز المقدس، إن هذا الحضور الإلهي المستدام كان يمثل صمام الأمان الميتافيزيقي الذي يكفل حصانة الحكم ، ويقي أركان الدولة من مخاطر الزوال والانهيار.

الكلمات المفتاحية: النقاء ؛ الدنس ؛ المقدس ؛ المشماشو ؛ طقس الفوهو.

1. مقدمة:

النقاء والدنس في الفكر العراقي القديم، يتأسسان على رؤية كونية شاملة تتجاوز مجرد المفاهيم الصحية أو الوقائية المعتادة، إذ يُنظر إلى الطهارة باعتبارها أكثر من مجرد حالة جسدية، بل هي مبدأ وجودي يهدف إلى الحفاظ على التوازن الكوني بين قوى النظام والفوضى، هذه الرؤية تتناغم مع فكرة أن الكون في صراع مستمر بين قوى متعارضة، تتطلب الطهارة لتحقيق الاستقرار والانسجام مع القوى الإلهية.

نظراً لأن الفصل حاداً بين عالم دنيوي ينتهي بالفناء وعالم مقدس خالد يمثل جوهر النقاء المطلق ، فقد استقرت طقوس التطهير بوصفها نظاماً سيادياً لا يمكن

تجاوزه، فالإنسان هنا يمثل حلقة الوصل الحيوية وأي تدنيس يمسه سواء كان حسيّاً أو معنوياً يُعتبر خرقاً للنظام الكوني يهدد بقطع الصلة بين الإنسان والاله، إذ تجاوز التطهير كونه غسلاً للبدن ليصبح إعادة تأهيل روحي تتيح للإنسان القاصر ولوج حضرة المقدس دون إحداث خلل في الميزان الإلهي، ومن هذا المنطلق يبرز النقاء كصمام أمان شامل فهو الضمان الوحيد لاستمرار المدينة، وشرعية الملك، واستقرار الكون في وجه الفوضى.

تتمحور الإشكالية حول الانتقال بمفهوم الطهارة من سياقه المادي (النظافة) إلى أبعاده الوجودية واللاهوتية في بلاد الرافدين، ويمكن صياغتها في السؤال التالي : إلى أي مدى ساهم التكامل الوظيفي بين المؤسسة الكهنوتية بمختلف تخصصاتها والممارسة الطقسية بأدواتها المادية والروحية في صياغة مفهوم النقاء و الدنس كضمانة لاستقرار النظام الكوني والسياسي في بلاد الرافدين؟

تكمّن أهمية الموضوع في أن البحث في النقاء و الدنس هو في جوهره بحث في فلسفة البقاء، فهو يوضح كيف استثمرت حضارة الرافدين الطقس الديني لصناعة استقرار سياسي واجتماعي صمد لآلاف السنين .

تعتمد الدراسة على المنهج التاريخي الوصفي كإطار رئيس، لرصد تفاصيل طقوس التطهير، أدواته، وفتاته (الكهنة، الملوك، العامة).

تستند المادة العلمية لهذه الدراسة إلى مجموعة من المراجع المتخصصة التي قامت باستنطاق وتحليل النصوص المسمارية والدراسات والأبحاث التي تناولت الفكر الديني في بلاد الرافدين.

2. الصراع بين النظام والفضوى:

يتجذر مفهوما الدنس والنقاء في الفكر الرافدي من الجدلية الأزلية بين النظام (Cosmos) والفضوى (Chaos)، حيث تُعتبر الآلهة الضامن الوحيد لاستقرار النواميس الكونية التي تمنع ارتداد العالم إلى حالة العماء، وضمن هذا النسق المعرفي لا يُنظر إلى الدنس (Mushu) أو اللعنة (Mamitu) كعوارض أخلاقية عابرة، بل كحالة من الاغتراب الكوني، فالفرد النجس هو إنسان خُلع من نسيج النظام الإلهي وبات مكشوفاً أمام القوى الغيبية المعادية¹.

بما أن الآلهة هي المسؤولة عن تدبير هذا النظام، فإن امتثال الأفراد لأوامرها ينعكس مباشرةً على استقرار المجتمع البشري، إذ يضطرب التوازن الكوني باستمرار بسبب تهديدات القوى الغيبية التي تستغل جرائم وآثام البشر لإعادة العالم إلى العماء، مما يجعل التطهير عبر الشعائر ضرورة حيوية لاستعادة الحماية².

هنا برز مفهوم "الإله الشخصي"، الذي مثل وسيطاً ميتافيزيقياً وضامناً للحماية ضد القوى الغيبية المعادية، ولم يقتصر هذا التصور على البعد الفردي فحسب، بل امتد ليشكل ركيزة أساسية في الفلسفة السياسية للملكية، حيث اعتبر الملوك استرضاء الآلهة واجباً طقسياً مقدساً وضرورة استراتيجية للحفاظ على كيان الدولة، فوفقاً للمنظور الفكري الديني آنذاك، كان أي خلل في هذه العلاقة التفاعلية يُفضي بالضرورة إلى رفع الحماية الإلهية، مما يجعل الملك ورعيته عرضة للفضوى الكونية وتسلط الكيانات الشيطانية والانهيار الوجودي للمملكة³.

3. عناصر التطهير

لم يكن التطهير في الفكر العراقي القديم (السومري، والبابلي، والآشوري) مجرد طقس شكلي، بل قام على فلسفة عميقة ترى أن الإنسان والمكان محاطان دوماً بالشرور والأرواح السلبية التي تعيق الاتصال بالمقدس كما ذكرنا سابقاً، ومن هنا برزت الحاجة إلى وسائط مادية دالة على حضور الآلهة لتطهير الوجود من تلك الأرواح⁴

1.3. الماء

نظر سكان بلاد الرافدين إلى الماء بعين القداسة باعتباره أصلاً للوجود وهبةً علويةً تضمن ديمومة الحياة في وادي الرافدين، وقد تجلّى هذا المفهوم في اعتبار الماء مخصباً كونياً يهطل من إله السماء ليلقح الأرض ويحفز قدرتها الإنتاجية، وبذلك استحال الماء من عنصر طبيعي إلى رمز للطهر والنماء يجمع بين القيمة الوظيفية والقدسية الميتافيزيقية⁵

أين تجلّى في إضفاء صفة القداسة على الشعائر الدينية، ولا سيما طقوس التطهير وسكب السوائل المقدسة، وقد بلغ هذا التقديس ذروته في تبجيل نهري دجلة والفرات بوصفهما شريان الوجود ومنبع الخصوبة، وهو ما تؤثقه أسماء الأعلام الرافدية القديمة التي قرنت النهر بالربوبية والخلق، مثل (النهر ربي) و(النهر خالقي)، تعبيراً عن الامتنان الروحي والمادي لهذا المصدر الإلهي⁶.

من بين أهم الآلهة التي كانت تسيطر عليه الإله "إنكي/إيا" الذي بسط سيادته على "الأبزو (Abzu) "أو "الآبسو"، وهو المحيط الكوني للمياه العذبة الكائن في جوف الأرض،

واتخذ من معبده الشهير في مدينة إريدو والمسعى "بيت أبزو" مقراً لإدارة هذا الوجود الحيوي، أين تصف التراتيل السومرية القديمة المخصصة لمعبد الإله إنكي في إيريديو الطهارة الكونية للمكان وأثر مياه الأبزو فيه، حيث جاء في أسطرها:

"بيت الأبزو، المعبد النقي المبهج .. لقد أسسه سيدك الحكيم (إنكي) على النقاء، جذرانه المشرقة تغتسل بالماء العذب، ومياهه الجارية تجلب الطهر والنماء للبلاد"⁷.

لم يقتصر التديير الإلهي على المصدر فحسب بل امتد ليشمل آلهة تنفيذية تعمل كوكلاء لإنكي كالإله "إنبيليلو" المسؤول عن جريان دجلة والفرات ومراقبة الأقنية، والذي يطابق في قائمة "آن-أنوم" مع إله الطقس "أداد" لقدرته على كشف أسرار المياه الجوفية، ويكتمل هذا الدور مع الإلهة "نيننا"، ابنة "إيا" وربة الينابيع والأمطار، والتي خلدها الفن الرافدي عبر "وعاء الماء الفوار"؛ الرمز الذي جسد ديمومة الحياة منذ العصور السومرية الباكر، وقد توجت هذه المنظومة بآلهة الطقس "إشكور/أداد/حدد" الذين وهبوا الكائنات ماء الحياة عبر العواصف والسيول، إن هذا الترابط الوثيق بين الآلهة وعناصر الطبيعة تكريساً لكون المياه تجلياً مقدساً يمنح التطهير والخصوبة⁸.

2.3.2. النار

تُمثل النار المُجسدة في الإله السومري "جيبيل" أو الأكادي "جيرا" القوة التطهيرية الثانية المتممة للماء، ولكن بوظيفة إفنائية حاسمة، في سلسلة تعاويد الحرق الأكادية شوربو (Šurpu)، يتوجه الكاهن إلى إله النار بالقول:

"أيها الإله جيرا (جيبيل)، يا من تطهر الذهب والفضة، يا من تفرّق بين الخبيث والطيب.. احرق خطايا هذا الإنسان، واصهر الدنس الذي يسكن بدنه لكي يلمع كالنجم"⁹، فبصفته إلهاً للنار وابناً للإله الحكيم "إيا"، يظهر "جيبيل" بدور المطهر الذي يمتلك القدرة على التمييز بين الخير والشر، فهو الذي يقضي على المشعوذين والسحرة ويطهر الأركان التي مسها الدنس وتبرز أهمية النار في ممارسات التطهير من

خلال قدرتها على تحويل المادة ، حيث تعمل بالتنسيق مع حكمة والده "إيا" على كشف وإبادة قوى الشر كالغفاريت السبعة، مما يجعلها أداة استئصال للأذى الذي لا يصل إليه الماء، محققةً النقاء عبر صهر الدنس واستعادة النظام الروحي للأماكن والأجساد المندسنة¹⁰.

3.3. البخور

مثل إحراق البخور ركيزة أساسية في الطقوس التطهيرية داخل الفضاءات الرافدينية (المعابد، القصور، والمنازل)، أين كان الكهنة المطهرون يشرفون على عملية التنقية العامة في توظيف دخان البخور كآلية دفاعية لحصار الأرواح الشريرة، حيث ساد الاعتقاد بأن انتشار الدخان في أرجاء المكان يجبر هذه الكيانات على الفرار عبر المنافذ كالأبواب والنوافذ، مطهراً بذلك الحيز المكاني من دنسها.¹¹

4.3. الزيوت

كان يُنظر إلى الزيت باعتباره مادة عازلة فإذا كانت النجاسة قشرة غير مرئية تلتصق بالجلد وتجذب القوى الشريرة، فإن طبقة الزيت اللامعة تعمل كغشاء واقٍ، وهذا اللمعان ليس مجرد زينة بل هو انعكاس لإشراق الإلهي، فالمادة البراقة تطرد الكائنات الظلامية التي تبحث عن المسام المفتوحة أو الجلد المتسخ طقسياً لتنفذ من خلاله، ومن اللافت أن هناك توجهاً خاصاً لاستخدام الزيت في التطهير، حيث يُقال إنه يُسمح على التماثيل أو الإطارات في المنزل، وكأن هذه العملية ليست مجرد فعل مادي ولكنها عمل رمزي يهدف إلى إدخال النقاء إلى أماكن تعيش فيها الأرواح والأجسام، الى أنه نادراً ما يُذكر نوع الزيت بالاسم أو الوصف الدقيق رغم وجود بعض الإشارات الى زيت السرو وزيت شجرة البخور (كاناكتو) وزيت الزيتون.¹²

5.3. تعاويد

تعددت المفردات السومرية الدالة على مفهوم "التعويدة" أو "الرقية"، ويبرز من بينها المقطع الملحمي (ÉN)، الذي يناظر في اللغة الأكديّة المصطلح المحوري (Šiptu)، الذي يُعد الأكثر شيوعاً في المتون الدينيّة للإشارة إلى التعاويد الطقسية، كما تورد النصوص مقاطع سومرية أخرى تؤدي ذات الدلالة الوظيفية مثل (TU6) و (TUK) والتي تُترجم في السياقات الأكديّة بصيغة المؤنث (Šiptu)، محملاً بمعانٍ تشمل الرقية، طقوس طرد الأرواح، والترانيم الجنائزية أو التطهيرية، إذ مثّلت وسيلة دفاعية أساسية لمواجهة القوى الغيبية المؤذية مثل الأرواح الهائمة والأشباح، فقد ساد الاعتقاد قديماً بأن هذه الكيانات هي المسؤول المباشر عن الأمراض الجسدية والنفسية التي تصيب الإنسان، وبناءً على ذلك كانت التعويذة أداة لإعادة التوازن بين حياة الفرد والقوى الماورائية و لجلء الدنس غير المرئي¹³. مثلما جاء في التعويذة الأتية: "كرر هذه التعويذة 7 مرات على المرهم و مهما كان مصدر الألم ليدهن موضع الألم ثم انه سيشفى"¹⁴

4. أدوات التطهير

1.4. الحوض الطقسي (Abzu)

لقد كشف المنقبون عن أحواض حجرية ضخمة عند مداخل المعابد السومرية في "أريدو" و "لكش" والبابلية متصلة بقنوات مياه جارّية خارج المعبد، وهي أحواض مخصصة لتطهير الكهنة والزوار قبل المثلوث في حضرة الإله، وتشبه هذه الشعيرة فكرة الوضوء لكنها تقتصر على الأيدي فقط، لتصبح طقساً للتقرب من الإله "أنكي" إله الماء والحكمة وخالق البشر، حيث كان مَسُّ مياهه للجسد يعني رمزياً إعادة خلق

مطهرة للإنسان، تمنحه النقاء اللازم لدخول العالم المقدس ليس للقيام بالصلاة فقط بل لممارسة أي مرسوم ديني.¹⁵

2.4. مذابح البخور و المواقد المقدسة

خُصت مذابح مستقلة للبخور إلى جوار مذابح الأضاحي، واستخدم الكهنة في هذه الطقوس موقداً مقدساً ذا تصميم مميز يشبه المزهريّة (أنظر الشكل 1)، يحمل دلالات لاهوتية مزدوجة ترتبط بالهين مركزيين: الإله "نسكو" (Nusku) إله النار، والإله "ننكشزيدا" (Ningishzida) إله الطب والشجر، وتوحي هذه الأزواجية الرمزية بأن الموقد المقدس كان يُنظر إليه كأداة كونية جامعة تمنح الاستضاءة ببركة "نسكو" والاستشفاء بفاعلية "ننكشزيدا"¹⁶.

3.4. إناء سكب الماء المقدس

لقد جرت العادة في طقوس التنصيب الملكي على سكب الزيت والتمسح به كرمز للشرعية، مع الاستعانة بوعاء متفرد (أنظر الشكل 2) خُصص لصب الماء المقدس فوق رؤوس الملوك المتوجين.¹⁷

4.4. حوض الماء لغسل الأيادي

تُشير النصوص المسمارية بوضوح إلى الجانب التنظيبي والمكاني لطقوس الطهارة في بلاد الرافدين، حيث أطلقت تسمية (kallu) والتي تعني لغويّاً "السلطانية" على الأحواض المخصصة لغسل الأيدي، ويبدو أن هذا الطقس لم يكن عشوائياً بل خُصت له حجرات محددة داخل البنية المعمارية للمعبد بخلاف الأحواض الضخمة الثابتة في الفناء، كانت هذه الأحواض تنقل إلى أماكن محددة داخل المعبد لتجديد طهارة الكاهن كلما انتقل من فضاء إلى آخر، وهو ما تؤكدُه

النقوش الكتابية المكتشفة على مداخل بعض هذه الغرف، إذ وردت عبارات أمره بصيغة التكرار التأكيدي "اغسل يديك، اغسل يديك". هذا التوجيه الصارم يعكس اشتراط النقاء الجسدي كعتبة أساسية لا يمكن تجاوزها قبل الدخول إلى الفضاءات المقدسة أو الشروع في المراسيم التعبدية¹⁸.

5. الكهنة المختصون بالتطهير

تأسست الفلسفة العلاجية في بلاد الرافدين على رؤية شمولية، ترفض مبدأ الفصل التقليدي بين العلة الجسدية المادية وجذرها الروحي الغيبي، لم يكن العلاج مجرد ممارسة فردية عفوية بل استند إلى بروتوكول تعاوني صارم وتوزيع دقيق للمسؤوليات، حيث شكل الكهنة المختصون منظومة علاجية متكاملة تعكس وعياً مبكراً بأن استعادة الصحة هي عملية توازن شاملة لا تكتمل إلا بتكاتف الخبرة المادية مع السلطة الروحية¹⁹.

1.5. الأشييو (Āšipu) طارد الأرواح وخبير الطقوس

شكلت شخصية طارد الأرواح الشريرة (āšipu) في بلاد ما بين النهرين خلال الألفية الأولى قبل الميلاد ركيزة المنظومة الأنطولوجية للتطهير، حيث كان يُنظر إليه كمتخصص لا غنى عنه للتعامل مع الشوائب الميتافيزيقية التي تتجاوز قدرة الفرد العادي على التطهير الذاتي، و كان النقاء المطلق شرطاً وجودياً لممارسة سلطته كوسيط طقسي بين البشر والآلهة، ومع ذلك فإن طبيعة عمله كانت تضعه في تماس يومي ومباشر مع مسببات التلوث الروحي مما جعل الحفاظ على طهارته الشخصية عملية ديناميكية ومعقدة، تتطلب استراتيجيات وقائية وتطهيرية صارمة لضمان فاعلية وساطته وحماية كيانه من الأخطار الارتدادية للقوى التي يسعى لاحتوائها²⁰.

يقوم كاهن الاشيبو بتحديد الشيطان أو العفريت الذي تسبب في المرض بعدها يتعرف على الاثم أو الخطيئة التي كانت السبب في مهاجمة الشيطان للمريض وذلك بقراءة جدول الأثام لعل المريض اعترف بعضها منها عمداً أو سهواً، و ما ان يشخص الذنب موضوع البحث حتى يتمكن الأشيبو من قهر العفريت الذي استغل الذنب لكي يحل في جسم المريض، و يكون المعزم لابساً الرداء الأحمر لأنه اللون الواقي من الأرواح الشريرة، كما قد يلبس جلداً يشبه السمكة (أنظر الشكل3) ليؤكد صلته ب "أيا" اله الطب و المياه²¹

2.5. البارو (Barû) : كاهن العرافة

يُعد كاهن البارو (Barû) الركيزة الاستشرافية في النظام الديني الرافديني منذ العهد البابلي القديم، حيث تُشتق تسميته لغوياً من دلالات الرؤية والفحص والتقصي، وهو ما تجسده الكتابة المقطعية للمصطلح " (Lu) MAš" أو "GD.GD" التي تعني حرفياً الرائي أو الملاحظ بدقة، وتتمحور وظيفة هذا الكاهن حول كونه العراف المتخصص في قراءة وتأويل العلامات والرموز الإلهية لأسباب الهلاك، حيث لا يتوقف دوره عند المشاهدة البصرية بل يمتد إلى التفتيش العميق في الظواهر لاستنباط الإرادة الغيبية.²²

3.5. كاهن المشماشو (Mashmashu):

يمثل سلطة التطهير الجسدي والروحي في بلاد الرافدين، حيث يتشارك مع كاهن "الباشيشو" في تنفيذ شعائر الاغتسال والدهن بالزيوت المقدسة. ويُرجَّح أن لفظ "المشماشو" هو الجذر الاشتقائي لمفهوم المسح بالزيت، إذ اضطلع بمهمة مسح الملوك، المعمدين والمرضى بالزيوت الطقسية وذلك بهدف تطهير الأبدان من دنس

القوى الغيبية المعادية، حيث كانت هذه الممارسة جزءاً جوهرياً من طقوس طرد الأرواح الشريرة التي كان يباشرها غالباً داخل سكن المريض لاستعادة توازنه الصحي²³.

4.5. كاهن الكالو (Kalu):

كاهن الكالو (Kalu) وبالسومرية (gala)، وهو الصنف الكهنوتي المسؤول عن الجانب الطقسي الصوتي لطرد الأرواح وتسكين الغضب الإلهي، تخصص "الكالو" في أداء الترانيم الجنائزية والأناشيد التراثية المرافقة للألات الموسيقية الحزينة، ولم يكن دور هذه الألحان مجرد رثاء بل كانت أداة شعائرية تهدف إلى استرضاء الآلهة و تطيب قلوبها لرفع البلاء وتلطيف الأجواء²⁴.

6. طقوس التطهير

الدينس في الفكر العراقي لم يكن وصمة أبدية، بل كان حالة مؤقتة يمكن علاجها بالطقس الصحيح، مما يعكس تفاؤل العراقيين بقدرة الإنسان على استعادة توازنه مع الآلهة

1.6. طقس غسل الفم (mīs pî)

يُعد هذا الطقس من أهم الإجراءات الدينية لتحويل التمثال صنعه البشر من مادة ميتة مثل الخشب أو الذهب إلى كيان إلهي حي يسكنه الإله، تركز هذه العملية على النقاء التكراري، حيث يتم غسل فم التمثال وتطهيره في سلسلة من الحلقات الطقسية التي تتكرر أكثر من 12 مرة على مدار يومين بهدف فصل التمثال عن أصوله البشرية الدنيوية وربطه بالعالم الإلهي، بحيث يصبح التمثال قادراً على الأكل والشرب واستقبال العبادة كإله حقيقي.²⁵ وقد جاء في الأسطر 45-52 من لوح نينوى الملكي الخاص بغسل الفم مايلي: "هذا التمثال لا يمكنه استنشاق البخور دون

طقس ميس بي، لا يمكنه تناول الطعام، ولا شرب الماء. إن فمه لم يُغسل، وعيناه لم تُفتحتا... اليوم وُلد هذا الإله في الأبرزو النقي؛ لم يصنعه الحرفي (نينكورًا)، بل الآلهة العظام هم من جبلوا جسده²⁶."

تتلخص طقوس إحياء تمثال الإله في خمس مراحل متكاملة تهدف إلى منحه الروح، تبدأ بإعداد المكان عبر وضع جرتين من الماء المقدس وأقمشة ملونة (حمراء وبيضاء) مع تقديم الأضاحي، تليها مرحلة غسل فم التمثال بمزيج غني من الأعشاب، وأعواد الأرز، والملح، والصمغ، والدهون، والأحجار الكريمة، والزبد، والدبس، وسط ترديد عبارات طقسية، ثم ينتقل الموكب في المرحلة الثالثة إلى النهر حيث يقود الكاهن كبشاً ويوضع التمثال على حصيرة قصب تحت مظلة باتجاه الشرق، لتبدأ المرحلة الرابعة وهي التضحية بالأشياء الثمينة حيث تُقدم الأضاحي والبيرة ويُسلخ جلد الكبش ليوضع فيه سمكة وسلحفاة من ذهب وفضة وأدوات برونزية ونحاسية تُرمى جميعها في النهر مع غسل فم الإله مجدداً، وصولاً إلى المرحلة الختامية بالعودة إلى البستان، حيث يُوجه التمثال نحو الغرب أمام الكاهن الأعلى وتُتلى الأدعية وتُقدم القرابين النهائية، وبذلك يتحول التمثال من مجرد مادة صنعها الحرفي إلى كيان حي مفعم بالروح بفضل إجراءات الكهنة²⁷

2.6. طقوس بيت رمكي (Bit Rimki)

يُعرف طقس بيت رمكي بأنه طقس عبور يهدف إلى استعادة التوازن المفقود بين الملك والآلهة، يتكون الطقس من ثلاث مراحل أساسية، المرحلة الأولى هي الانفصال وتبدأ بتطهير القصر والملك مادياً عبر أصوات الطبول والتمسح بالحيوانات لامتنصاص الشر، المرحلة الثانية هي الحالة الهامشية أو الانتقالية، وفيها يدخل الملك

في سلسلة من الصلوات الليلية الطويلة لاستعطاف الآلهة الكبرى ، ثم يمر عند الشروق بسبعة بيوت طقسية يقوم في كل منها بغسل أعضاء محددة من جسده والبصق على تماثيل تمثل السحرة والأعداء لنقل النجاسة إليهم أمام الإله "شماش" المرحلة الثالثة هي إعادة الاندماج وتتم عبر إطلاق حوامل النجاسة (الأسرى، السمك، الطيور) في اتجاهات كونية مختلفة لضمان تشتيت الشر بعيداً عن المملكة مما يسمح للملك باستعادة شرعيته وقدرته على الحكم بعد نيل البراءة الإلهية²⁸.

3.6. طقس الفوهو (البديل)

تُعد طقوس الفوهو أو طقس البديل من أكثر الممارسات الدينية والسحرية إثارة في حضارات بلاد الرافدين (سومر، بابل، وآشور). يعكس هذا الطقس فلسفة عميقة قائمة على مبدأ نقل الشر لتخليص الشخص سواء كان فرداً عادياً أو الملك من مصير محتوم أو مرض ، و قد اعتمد الطقس على نوعين من السحر المتعارف عليهما سحر الاتصال حيث ينتقل الشر عبر اللمس المباشر بين المصاب والبديل (إنسان أو حيوان) ، سحر التشابه المحاكاة مثل استخدام دمية تشبه الشخص أو القيام بذبح صوري للمريض مقابل ذبح حقيقي للبديل²⁹

و إذا كان السومريون قد عرفوا دفن حاشية الملك لأسباب تتعلق بطقوس ما بعد الموت ، فإن طقوس نقل الشر عرفت تطوراً تاريخياً بارزاً أين استحدثت كخيار وقائي حين تشير النبوءات بخطر يهدد حياة الملك حيث كان يُختار شخص بديل يرتدي ثياب الملك ويمارس سلطاته كاملة بينما يتوارى الملك الحقيقي عن الأنظار، لينتهي الأمر غالباً بإعدام البديل وإقامة طقوس دفن رسمية له لإيهام قوى الشر بموت الملك الفعلي، وقد تطور هذا التقليد بدقة تنظيمية عالية في العصرين البابلي

والأشوري، رغم وقوع حالات استثنائية تمرد فيها البديل ورفض الموت منفرداً بالحكم ومزيجاً الملك الحقيقي³⁰.

4.6. طقوس التطهير ضمن احتفالات رأس السنة الجديدة (أكيو)

1.4.6. طقس غسل اليدين

تجلى هذا الطقس بوضوح ضمن احتفالات رأس السنة الجديدة في معبدي "إيساكبلا" و"أيزيدا"، فبعد الفراغ من مأدبة الطعام المقامة أمام تمثال الإله، يقوم الكاهن بغسل يدي الملك في حركة ترمز لنهاية المراسيم المادية وبداية التواصل الروحي، يتبعها غسل الكاهن ليديه إيداناً بتطهير الذات، إن مصطلح "me qati nasu" (رفع حوض الماء لغسل الأيدي) الوارد في النصوص، يعكس صرامة النقاء الطقسي المفروض على الكهنة الذين كانوا يستمدون طهارتهم من مياه دجلة والفرات المقدسة قبل المثلول في حضرة الإله، ولضمان ديمومة هذه القدسية جُهزت المعابد بخزانات مياه متصلة بقنوات جارية مما يجعل من النظافة الجسدية شرطاً جوهرياً ومسبقاً لأي مرسوم عبادي في اللاهوت الرافديني القديم³¹

2.4.6. طقوس تطهير المعبد

يُكرس اليوم الخامس من احتفالات 'أكيو' لإتمام شعائر التطهير الكبرى، حيث يتولى كاهن مختص تنقية المعبد بنضح الماء المقدس وتلاوة التراتيل الجنائزية والوقائية، وتصل ذروة الطقس في عملية 'التمسح' (Kuppuru)، إذ يُذبح كبش ويُمسح بدمه جدران الهيكل لامتصاص أدناس السنة المنصرمة وخطاياها، وعقب انتهاء عملية الامتصاص الرمزي يُقذف بجسد الذبيحة في مياه النهر لتجرف النجاسة بعيداً عن المدينة، ومن الملاحظ أن الكاهن القائم على الطقس يُنفى اختيارياً

إلى العراء طيلة فترة العيد نظراً لانتقال ندس الخطايا إليه عبر التلامس الطقسي مما يجعله غير مؤهل لدخول الحرم المقدس حتى اكتمال دورة التجديد الكوني³².

5.6. طقس سكب السوائل

لم يقتصر مفعول طرد الأرواح الشريرة وتطهير الفضاءات على دخان البخور فحسب، بل مثل السكب السوائل خاصة الماء والزيت (أنظر الشكل 4) ركيزة أساسية في الفكر الاعتقادي الرافدي، فقد كان فعل الإراقة وسيلة حيوية لتحقيق النقاء الروحي وتجلى ذلك بوضوح في عدة سياقات:

1.5.6. الزواج

كان سكب السوائل المقدسة طقساً محورياً عند إتمام الزواج حيث يسكب على رأس العروس، ويظهر جلياً صدى هذه الطقوس في إصلاحات أوركا جينا التي وثقت هذه الممارسات كجزء من التنظيم الاجتماعي والديني للمجتمع أين خفض ضرائب الحاكم عندما يقوم بهذا الطقس لضمان حماية الرابطة الزوجية من القوى الغيبية الضارة³³.

2.5.6: تتويج الملوك

يتجاوز طقس السكب مفهوم التطهير العام ليبليغ ذروة رمزيته في مراسم تنصيب وتتويج الملوك، حيث كان المسح بالزيت واستخدام أوانٍ خاصة لسكب الماء المقدس يمثلان الإجراء الطقسي الجوهرى لنقل الحاكم إلى مرتبة القداسة والسيادة³⁴.

6.6. طقس إطعام الألهة

كانت الطقوس اليومية لخدمة الألهة تقع على عاتق كهنة المسؤولين عن تماثيل الألهة، حيث اشتملت على تقديم وجبتين رئيسيتين لتمثال الإله وجبة الصباح أو الظهيرة ووجبة ثانوية تُقدم قبيل إغلاق أبواب المعبد، كانت هذه القرابين

تُنْتَقَى من أجود غلات الحبوب والبساتين، ومن أنفس سلالات الماشية والأغنام التي تملكها أوقاف المعبد، ولم تكن هذه الموائد تذهب سُدى بل كانت تُوضَع أمام التمثال محملة بصنوف السوائل والفاكهة واللحوم ليتبرك بها الملك أولاً كرمز لتجديد الروابط المقدسة بينه وبين الإله³⁵

7.6. طقس الأضحى البشرية الجماعية

اكتشافات مقابر أور كشفت أن هذا المشهد لم يكن مجرد دفن جماعي، بل جسد طقساً احتفالياً جنائزياً مهيباً، صُوِّر فيه القبر كقصر مطهر ينتقل عبره الملك إلى العالم الآخر بكامل هيئته وحاشيته، فبينما كانت الأضحية السومرية نباتية وحيوانية في جوهرها، مثّلت هذه المرافقات البشرية التي ضمت حراساً ونساءً بملابس حمراء وحلي تقليدياً ملوكياً ساد في الحقب التالية لوفاة "جلجامش" قبل أن ينقرض تدريجياً مع نهاية الألف الثالث قبل الميلاد ليتحول إلى طقوس استبدالية رمزية كما ظهر لاحقاً في العصور البابلية والآشورية³⁶

8.6. طقس إحراق البخور

كان طقس إحراق البخور طقساً يومياً يجرى في المعبد و كان الكهنة المطهرون هم الذين يقومون به بالدرجة الأساس، و لكن كهنة من أصناف أخرى كانوا يقومون به مثل الكاهن المعزم أشيبو فقد كان إحراق البخور يلزم التعزيم³⁷

7. الخاتمة:

من نتائج هذا العمل:

-لم يكن التطهير في الفكر الرافديني مجرد طقس مادي للاغتسال، بل كان نظاماً وجودياً متكاملأ يهدف إلى إعادة التوازن الكوني؛ فالدنس (سواء كان خطيئة أو مرضاً

أو سحراً) هو خرق للناموس الإلهي يستوجب تدخل المؤسسة الكهنوتية لاستعادة النظام المفقود.

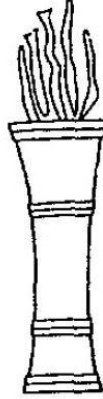
- اعتمد التطهير على مسارين متوازيين مسار مادي عبر العقاقير والجراحة ومسار ميتافيزيقي يقوده "الآشيبو" و"المشماشو" عبر التعازيم والماء والزيت والبخور، هذا التكامل يعكس وعي الرافدينيين بأن سلامة الجسد لا تنفصل عن نقاء الروح.

-التخصص الكهنوتي الدقيق الذي تجسد في توزيع الأدوار بدقة فمن "البارو" الذي يشخص مكن الخلل عبر العلامات إلى الآشيبو (Āšipu) طارد الأرواح وخبير الطقوس وصولاً إلى "الكالو" الذي يطيب قلب الإله بالألحان، هذا التخصص يؤكد أن الوصول للمقدس يتطلب وسائط بشرية مؤهلة تمتلك أدوات المعرفة الغيبية.

-استمدت العناصر التطهيرية (ماء، زيت، بخور) قوتها من ارتباطها بالآلهة (مثل إينكي ونسكو) فالدخان يحاصر الشر، والماء يمحو الدنس، والزيت يمنح حصانة إلهية ليضمن حالة الطهارة ومنع اختراق القوى السلبية للحيز المكاني أو الجسدي.

8. الملاحق:

الشكل 1: رمز الموقد المقدس



المصدر: خزعل الماجدي، بحور الألهة، المرجع السابق، ص 371

الشكل 2: رمز اناء سكب الماء المقدس



المصدر: خزعل الماجدي، بحور الألهة، نفسه، ص 371

الشكل 3: مشهد طرد الأرواح الشريرة: المريض في الوسط، وكهنة متنكرون في صورة سمكة،

يرمزون إلى إله إيا، إله الماء



المصدر: Robert D. Biggs, Op-cit, p139

الشكل 4: كاهن سومري يؤدي طقس سكب السوائل



المصدر: خزعل الماجدي، المرجع السابق، ص 371

9. قائمة المراجع

1. حسن عبد الحق، "الماء في الفكر الرافدي القديم"، مجلة جامعة دمشق، المجلد 34، العدد الثاني، دمشق، 2018.
2. خزعل الماجدي، بخور الآلهة: دراسة في الطب والسحر والأسطورة والديانة، ط 1، دار الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، 1998.
3. خزعل الماجدي، الدين السومري، ط 1، دار الشروق، عمان، 1998.
4. خزعل الماجدي، متون سومر، ط 1، دار الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، 1998.
5. د. ادزارد وآخرون، قاموس الآلهة والأساطير في بلاد الرافدين والحضارة السورية، تعريب: محمد وحيد خياطة، ط 1، دار الشرق العربي، بيروت، 1987.
6. عامر سليمان، معتقدات آسيوية (العراق، فارس، الهند، الصين، اليابان)، ط 1، دار الكندي، بيروت، 1988.
7. قاسم الشواف، ديوان الأساطير: سومر وأكد وأشور، ج 1، ط 1، دار الساقى، بيروت، 1996.
8. لقمان محمود قاسم وخالد سالم اسمعيل، "أنواع التعاويذ والرقى في بلاد الرافدين"، مجلة العلوم الإنسانية لجامعة زاخو، المجلد 10، العدد 2، زاخو، 2022.
9. ميرتشا إلياد، تاريخ المعتقدات والأفكار الدينية، ج 1، ط 1، دار دمشق، دمشق، 1986.

10. نجاح عماد بدر الياسري، التجميل ووسائله في العراق القديم: دراسة في ضوء النصوص المسمارية والمشاهد الفنية، دار مؤسسة رسلان للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة-دمشق، 2024.
11. عبد الرحمن يونس عبد الرحمن، اللبائخ وطريقة استخداماتها في الطب الأشوري، دراسات موصلية، العدد 41، 2013.
12. Evelyne Koubková, "The exorcist's purity", Kaskal 1, Nuova serie, November 2024.
13. Erica Reiner, Šurpu: A Collection of Sumerian and Akkadian Incantations. Archiv für Orientforschung, Beiheft 11, Graz, 1958
14. Georges Contenau, La vie quotidienne à Babylone et en Assyrie, Hachette, Paris, 1950.
15. Noemi Borrelli and Eduardo A. Escobar, "Crafting purity in assyro-babylonian procedures: time, space, and the material world", Arys 20, 2022.
16. Robert D. Biggs, "Medicine, surgery, and public health in ancient Mesopotamia", Journal of assyrian academic studies, Vol. 19, No. 1, 2005.
17. Stefan Nowicki, Acquiring of the ritual purity by mechanical and magical means in the ancient near eastern rituals, University of Wrocław, 2009.
18. Zoltán Süttő, "Purifying the king by means of prisoners, fish, a goose, and a duck: some remarks on the mesopotamian notions of purity", How purity is made, ed. Petra Rösch and Udo Simon, Harrassowitz Verlag, Wiesbaden, 2012.
19. Walker Christopher and Michael Dick, The Induction of the Cult Image in Ancient Mesopotamia: The

Mesopotamian Mīs Pî Ritual, State Archives of
Assyria Literary Texts, Volume 1, Helsinki, 2001.

20. The Electronic Text Corpus of Sumerian Literature
(ETCSL). Oxford University.
<https://etcsl.orinst.ox.ac.uk/>.

10. الهوامش:

¹ الماجدي خزعل، بحور الألهة: دراسة في الطب والسحر والأسطورة والديانة، ط1، الأهلية لنشر و التوزيع، عمان 1998، ص364

² إلياد ميرتشا، تاريخ المعتقدات والأفكار الدينية، ترجمة: عبد الهادي عباس، ج 1، ط 1، دار دمشق، دمشق، 1986، ص 84

³ سليمان عامر، معتقدات آسيوية (العراق، فارس، الهند، الصين، اليابان)، دار الكندي، بيروت، 1988، ص 66.

⁴ الماجدي خزعل، متون سومر، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، 1998، ص 315.

⁵ قاسم الشواف، ديوان الأساطير: سومر وأكد وآشور، ج 1، ط 1، دار الساقى، بيروت، 1996، ص 23

⁶ حسن عبد الحق، الماء في الفكر الرافدي القديم، مجلة جامعة دمشق، المجلد 34، العدد 2، دمشق، 2018، ص 4

⁷ Electronic Text Corpus of Sumerian Literature (ETCSL), Oxford University. <https://etcsl.orinst.ox.ac.uk/>. c.4.08.1

⁸ المرجع نفسه

⁹ Erica Reiner, Šurpu: A Collection of Sumerian and Akkadian Incantations. Archiv für Orientforschung, Beiheft 11, Graz, 1958, Tablet V–VI, lines 12–18.

¹⁰ ادزارد وآخرون، قاموس الآلهة والأساطير في بلاد الرافدين والحضارة السورية، ترجمة: محمد وحيد خياطة، ط 1، دار الشرق العربي، بيروت، 1987، ص 118

¹¹ . الماجدي خزعل، الدين السومري، ط 1، دار الشروق، عمان، 1998، ص 153.

¹² . Stefan Nowicki, Acquiring of the ritual purity by mechanical and magical means in the ancient near eastern rituals, University of Wrocław, 2009, P 172–178

¹³ . لقمان محمود قاسم، خالد سالم اسمعيل، أنواع التعاويذ والرقى في بلاد الرافدين، مجلة العلوم الإنسانية لجامعة زاخو، المجلد 10، العدد 2، زاخو (العراق)، 2022، ص 313

¹⁴ .عبد الرحمن يونس عبد الرحمن، اللبائخ وطريقة استخدامها في الطب الأشوري، دراسات موصلية، العدد 41، 2013، ص 32

¹⁵ . خزعل الماجدي، متون سومر، المرجع السابق، ص 311.

¹⁶ . خزعل الماجدي، الدين السومري، المرجع السابق، ص 153

¹⁷ . خزعل الماجدي، متون سومر، المرجع السابق، ص 316.

¹⁸ . نجاح عماد بدر الياسري، التجميل ووسائله في العراق القديم: دراسة في ضوء النصوص المسمارية والمشاهد الفنية، دار مؤسسة رسلان للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة-دمشق، 2024، ص 51، 52.

¹⁹ Robert D. Biggs, Medicine, Surgery, and Public Health in Ancient Mesopotamia, Journal of Assyrian Academic Studies, Vol. 19, no. 1, 2005, p1

²⁰ Evelyne Koubková, The Exorcist's Purity, Kaskal 1, Nuova serie , 2024, p 137.

²¹ Georges Contenau, La vie quotidienne à Babylone et en Assyrie, Hachette, Paris, 1950, p. 206.

²² . خزعل الماجدي، بخور الآلهة، المرجع السابق، ص 364.

²³ .نفسه، ص 371

24. نفسه

25 Noemi Borrelli and Eduardo A. Escobar, "Crafting Purity in Assyro-Babylonian Procedures: Time, Space, and the Material World", ARYS 20, 2022, p 31-34.

26 . Christopher Walker and Michael Dick, The Induction of the Cult Image in Ancient Mesopotamia , Neo-Assyrian Text Corpus Project, Helsinki, 2001, p. 142.

27 . خزعل الماجدي، متون سومر، المرجع السابق، ص 318

28 Zoltán Süttő, "Purifying the king by means of prisoners, fish, a goose, and a duck: some remarks on the mesopotamian notions of purity", How purity is made, ed. Petra Rösch and Udo Simon, Harrassowitz Verlag, Wiesbaden, 2012, p 90-100.

29 . خزعل الماجدي، متون سومر، المرجع السابق، ص 319,320.

30. نفسه

31 . نجاح الياسري، التجميل ووسائله، المرجع السابق، ص 51،52

32 . علي حسين الجابري، سجي نعيم عبد "الفكر الديني الرافديني"، مجلة آداب المستنصرية / الانسانيات، الجامعة

المستنصرية، المجلد 1، العدد 109، مارس 2025، ص 66

33 . خزعل الماجدي، متون سومر، المرجع السابق، ص 316.

34. نفسه

35. نفسه، ص 318

36. نفسه، ص 320

37. نفسه، ص 315